الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم بالسنة والكتاب تأليف ابن معمر، أحمد ابن ناصر - ١٢٢٥ هـ ٠ كتبت في القرن الثالث عشر الهجري تقديرا ٠

٦١ ق ٢٣ س ٢٢×١٦،٥ سم

نسخة جيدة ، ناقصة الآخر ، خطها نسخ معتاد ٠

الأعلام ١: ٢٤٦ مشاهير علماء نجد : ١٥٧

١ - أصول الدين أ - المؤلف ب - تاريخ النسخ ٠

هذه الاجوبة المسمّاة الفواكه العذاب
في الرد على من لم يحكم السنّة والكتاب
للشيخ احمد بن ناصر ابن عثمان المعمري
رحمه الله وعفا عنه حين ناظر
علماء الحرم الشريف في شيء من
امور الدين وصلى
الله على سيدنا
محمد وآله
وصحبه
وسلم

فائده

وكان عبد الله [illegible] عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اتقوا هذه المذابح يعني المحاريب قلت [illegible]
[illegible] صدور المجالس [illegible] ذكره [illegible] الشيخ
[illegible] رواه الطبراني [illegible]
[illegible] الهيثمي [illegible]
[illegible]
[illegible] صاحب فتح الباري [illegible]

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

ربيع اول
١٢٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نصر الدين بالحجة والسيف والتمكين وجعل الدين له
من ينفي عنه غلو الغالين وتحريف المحرفين بالدلايل القاطعة والبراهين
اما بعد فلما كان في السنة الحادية عشر بعد المائتين والالف
من هجرته صلى الله عليه وسلم طلب غالب والي مكة المشرفة من عبد العزيز ابن
سعود والي نجد رحمه الله ان يبعث اليه عالما من علمايه ليناظر علماء الحرم
في شيء من امور الدين فبعث اليه عبد العزيز الشيخ احمد بن ناصر بن عثمان
الحنبلي في ركب فلما وصلوا الى مكة بها جمع غالب علماء الحرم الشريف
وارباب مذاهب الايمة الاربعة خلا الحنابلة فوقعت مناظرة عظيمة
بين الشيخ احمد المذكور وعلماء الحرم الشريف ومقدمهم يوميذ في الكلام
الشيخ عبد الملك الحنفي فوقعت المناظرة في مجالس عديدة لدى والي
مكة بمشهد عظيم من اهلها وذلك في شهر رجب من السنة المذكورة
من هجرته صلى الله عليه وسلم فظهر الحق وبان وانخفض الباطل واستكان وافترق
الخصم بعد البيان ومما سئلوه عنه ثلاث مسايل فاجاب ايده الله
بروح منه بما يشفي العليل ويبتهج به من يتبع الدليل وسميت
هذه الاجوبة الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب
المسئلة الاولى قالوا ما قولكم فيمن دعا نبيا او وليا واستغاث
به في تفريج الكربات كقوله يا رسول الله او يا ابن عباس او يا محجوب او
غيرهم من الاوليا والصالحين الجواب الحمد لله احمده واستعينه
واستغفره واعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا من
يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى اله وصحبه ومن
تبعهم باحسان واقتفى اثرهم الى اخر الزمان اما بعد فان الله تعالى قد اكمل

لنا الدين

لنا الدين ورسوله قد بلغ البلاغ المبين وانزل عليه الكتاب هدى وذكرا
للمومنين قال الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الاسلام دينا وقال تعالى يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة
من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمومنين وقال تعالى ونزلنا
عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين وقال تعالى فاما
ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن
ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى قال ابن عباس
تكفل الله لمن قرأ القران واتبع ما فيه ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة
وقال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين
وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون وروا
مالك في الموطا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تركت فيكم امرين لن تضلوا
ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله وعن ابي الدردا رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد تركتكم على المحجة البيضا ليلها كنهارها
لا يزيغ عنها بعدي الا هالك وقال صلى الله عليه وسلم ما تركت من شيء يقرب
الى الجنة الا وقد حدثتكم به ولا من شيء يقرب الى النار الا وقد حذرتكم
به وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفا الراشدين المهديين
من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات
الامور فان كل بدعة ضلالة فمن اصغى الى كتاب الله وسنة رسوله وجد
فيهما الهدى والشفا وقد ذم الله تعالى من اعرض عن كتابه ودعا عند
التنازع الى حكم غيره فقال تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول
رايت المنافقين يصدون عنك صدودا اذا عرف هذا فنقول
الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زيارة القبور انما هو تذكرة
الاخرة والاحسان الى الميت بالدعا له والترحم والاستغفار له وسوال

العافية كما في صحيح مسلم عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم
اذا خرجوا الى المقابر ان يقولوا السلام على اهل الديار وفي لفظ السلام
عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم للاحقون
نسئل الله لنا ولكم العافية وفي سنن ابي داوود عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا صليتم على الميت فاخلصوا له الدعاء وعن
عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من ميت يصلي عليه امة
من المسلمين يبلغون مئة كلهم يشفعون له الا شفعوا فيه رواه مسلم
فاذا كنا على جنازته ندعو له لا ندعوه ونشفع له لا نستشفع به فبعد
الدفن اولى واحرى فبدل اهل الشرك قولا غير الذي قيل لهم بدلوا الدعاء له
بدعائه والشفاعة له بالاستشفاع به وقصدوا بالزيارة التي شرعها
رسول الله صلى الله عليه وسلم احسانا الى الميت سوال الميت وتخصيص تلك البقعة
بالدعاء الذي هو مخ العبادة بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن انس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة رواه الترمذي وعن النعمان
بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ثم قرأ رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال ربكم ادعوني استجب لكم رواه احمد والترمذي وابو داوود والنسائي
وابن ماجه ومن المحال ان يكون دعاء الموتى مشروعا ويصرف عنه القرون الثلاثة
المفضلة بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يوفق له الخلوف الذين يقولون ما لا
يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه
طريقة الصحابة والتابعين لهم باحسان هل نقل عن احد منهم بنقل صحيح
او حسن انهم كانوا اذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا
بها فضلا عن ان يسئلوا اهلها جلب الفوايد وكشف الشدايد ومعلوم
ان مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله وقد كان عندهم من قبور
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد كثير وهم متوافرون بالامصار فما منهم من استغاث

نطقه اصحابها

عند قبر

عند قبر ولا دعاه ولا استشفا به ولا استنصر به ولا احد من الصحابة استغاث
بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ولا بغيره من الانبيا ولا كانوا يقصدون الدعا
عند قبور الانبيا ولا الصلاة عندها فان كان عندكم في هذا اثر صحيح او حسن
فاوقفونا عليه بل الذي صح عنهم خلاف ما ذهبتم اليه ولما قحط الناس
في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس وتوسل بدعائه
وقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم
نبينا فاسقنا فيسقون ثبت ذلك في صحيح البخاري ذكره في كتاب
الاستسقا من صحيحه ونحن نعلم بالضرورة ان النبي صلى الله عليه وسلم لم
يشرع لامته ان يدعوا احدا من الاموات لا الانبيا ولا الصالحين ولا غيرهم
لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها بل نعلم انه نهى عن كل هذه الامور وان ذلك من
الشرك الاكبر الذي حرمه الله ورسوله قال الله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع
الله احدا وقال تعالى ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له
الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء
وكانوا بعبادتهم كافرين وقال تعالى ولا تدع مع الله الها اخر فتكون من
المعذبين وقال تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون
لهم بشيء الاية وقال تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان
فعلت فانك اذا من الظالمين وقال تعالى والذين تدعون من دونه
ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا
لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم الاية وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه
فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب
ربك كان محذورا قال مجاهد يبتغون الى ربهم الوسيلة هو عيسى وعزير
والملائكة وكذا قال ابراهيم النخعي قال كان ابن عباس يقول في قوله تعالى

اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيله هو عزير والمسيح والشمس
والقمر وعن السدي عن ابي هريرة عن ابن عباس قال عيسى وامه والعزير وعن
عبد الله ابن مسعود قال نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن
فاسلم الجنيون والانس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون باسلامهم
فنزلت هذه الايه ثبت ذلك عنه في صحيح البخاري ذكره في كتاب التفسير وهذه
الاقوال في معنى الايه كلها حق فان الايه تعم كل من كان معبوده عابدا لله
سوآء كان من الملايكه او من الجن او من البشر فالايه خطاب لكل من دعا
من دون الله مدعوا وذلك المدعو يبتغي الى الله الوسيله ويرجوا رحمته ويخاف
عذابه فكل من دعا ميتا او غائبا من الانبيا والصالحين فقد تناولته هذه
الايه ومعلوم ان المشركين يسئلون الصالحين بمعنى انهم وسايط بينهم
وبين الله ومع هذا فقد نهى الله عن دعائهم وبين انهم لا يملكون كشف
الضر عن الداعي ولا تحويله لا يرفعونه بالكليه ولا يحولونه من موضع الى
موضع كتغيير صفة او قدرة ولهذا قال ولا تحويلا فذكر نكره تعم انواع
التحويل فكل من دعا ميتا من الانبيا والصالحين او دعا الملايكه او دعا
الجن فقد دعا من لا يغيثه ولا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله وهولاء
المشركين اليوم منهم من اذا نزلت به شده لا يدعو الا شيخه ولا يذكر الا كون
اسمه قد لهج به كما قد لهج الصبي بذكر امه فاذا تعس احدهم قال يا ابن
عباس او يا محجوب ومنهم من يحلف بالله ويكذب ويحلف بابن عباس
او غيره فيصدق ولا يكذب فيكون المخلوق في صدره اعظم من الخالق
فاذا كان دعاء الموتى يتضمن هذا الاستهزا بالدين وهذه المحادة لرب
العالمين فاي الفريقين احق بالاستهزا والمحاده لله من كان يدعوا
الموتى ويستغيث بهم او يامر بذلك او من كان لا يدعو الا الله وحده
لا شريك له كما امرت به رسله ويوجب طاعة الرسول ومتابعته في كل ما جاء به

ونحن نحمد الله من اعظم الناس ايجابا لرعاية جانب الرسول تصديقا له
فيما اخبر وطاعة له فيما امر واعتناء بمعرفة ما بعث به واتباع ذلك دون
ما خالفه عملا بقوله تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه
اولياء قليلا ما تذكرون وقوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه
واتقوا لعلكم ترحمون ومعنا ولله الحمد اصلان عظيمان احدهما ان لا نعبد
كل الا الله فلا ندعو الا هو ولا نذبح النسك الا لوجهه ولا نرجوا الا هو ولا نتو
كل الا عليه والاصل الثاني ان لا نعبده الا بما شرع لا نعبده بعبادة مبتدعه وهذان
الاصلان هما تحقيق شهاده ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فان شهاده
ان لا اله الا الله تتضمن اخلاص الالهيه لله فلا يتاله القلب ولا اللسان
ولا الجوارح بغيره تعالى لا بحب ولا خشيه ولا اجلال ولا رغبه ولا رهبه
وشهادة ان محمدا عبده ورسوله تتضمن تصديقه في جميع ما اخبر به وطاعته
واتباعه في كل ما امر به فما اثبته وجب اثباته وما نفاه وجب نفيه وقد روى
البخاري من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل امتي يدخلون الجنه
الا من ابا قالوا ومن ابا يا رسول الله قال من اطاعني دخل الجنه ومن عصاني
فقد ابا اذا تمهد هذا فنقول الذي نعتقده وندين الله به ان
من دعا نبيا او وليا او غيرهما وسئل منهم قضاء الحاجات وتفريج
الكربات ان هذا من اعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا او لياء
وشفعاء يستجلبون بهم المنافع ويستدفعون بهم المضار بزعمهم
قال الله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هولاء
شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض
سبحانه وتعالى عما يشركون فمن جعل الانبيا او غيرهم كابن عباس او المحجوب
او ابي طالب وسايط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسئلهم جلب المنافع
ودفع المضار بمعنى ان الخلق يسئلونهم وهم يسئلون الله كما ان الوسايط

عند الملوك يسئلون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسئلونهم ادبًا منهم ان يباشروا سوال الملك او لكونهم اقرب الى الملك فمن جعلهم وسايط على هذا الوجه فهو كافر مشرك حلال المال والدم وقد نص العلماء رحمهم الله على ذلك وحكوا عليه الاجماع قال في الاقناع وشرحه من جعل بينه وبين الله وسايط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسئلهم كفر اجماعا لان ذلك كفعل عابدي الاصنام قايلين ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى انتهى

وقال الامام ابو الوفا علي بن عقيل الحنبلي رحمه الله لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن اوضاع الشرع الى تعظيم اوضاع وضعوها لانفسهم فسهلت عليهم اذ لم يدخلوا بها تحت امر غيرهم قال وهم عندي كفار بهذه الاوضاع مثل تعظيم القبور واكرامها والزامها بما نهى عنه الشرع من ايقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالحوايج وكتب الرقاع عليها يا مولاي افعل لي كذا وكذا واخذ تربتها تبركا وافاضة الطيب على القبور وشد الرحال اليها والقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى انتهى كلامه وقال الامام البكري الشافعي رحمه الله في تفسيره عند قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى كانت الكفار اذا سئلوا من خلق السموات والارض قالوا الله فاذا سئلوا عن عبادة الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله لاجل طلب شفاعتهم عند الله وهذا كفر منهم انتهى كلامه

فتامل ما ذكره صاحب الاقناع وما ذكره ابن عقيل من تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوايج وان ذلك كفر وقال الحافظ العماد ابن كثير رحمه الله في تفسيره عند قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى انما يحملهم على عبادتهم انهم عمدوا الى اصنام اتخذوها على صور الملايكة المقربين بزعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملايكة ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من امور الدنيا فاما المعاد

فكانوا

فكانوا جاحدين له كافرين به قال قتادة والسدي ومالك عن زيد ابن اسلم وابن زيد الا ليقربونا الى الله زلفى اي ليشفعوا لنا عنده ويقربونا عنده ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم اذا حجوا في جاهليتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وهذه الشبهة هي التي اعتقدها المشركون في قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بردها والنهي عنها والدعوة الى افراد العبادة لله وحده لا شريك له وان هذا شيء اخترعه المشركون من عند انفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضي به بل ابغضه ونهى عنه قال تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون واخبر ان الملايكة التي في السموات من المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده الا باذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالامراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير اذنهم فيما احبه الملوك وكرهوه فلا تضربوا لله الامثال تعالى عن ذلك انتهى كلامه وقال الامام البكري رحمه الله عند قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار الاية فان قلت اذا اقروا بذلك فكيف عبدوا الاصنام قلت كلهم كانوا يعتقدون بعبادتهم الاصنام عبادة الله والتقرب اليه لكن بطرق مختلفة ففرقة قالت ليس لنا اهلية عبادة الله تعالى بلا واسطة لعظمته فعبدناها لتقربنا الى الله زلفى وفرقة قالت الملايكة ذووا وجاهة ومنزلة عند الله فاتخذنا اصناما على هيئة الملايكة لتقربنا الى الله زلفى وفرقة قالت جعلنا الاصنام قبلة لنا في العبادة كما ان الكعبة قبلة في عبادته وفرقة اعتقدت ان لكل ملك شيطانا موكلا بامر الله فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حوايجه بامر الله والا اصابه الشيطان بنكبة بامر الله تعالى انتهى كلامه فانظر الى كلام هؤلاء الايمة وتصريحهم بان المشركين ما ارادوا ممن عبدوا الا التقرب الى الله وطلب شفاعتهم عند الله وتامل ما ذكره ابن كثير وما حكاه عن زيد ابن اسلم وابن زيد ثم قال وهذه الشبهة هي التي اعتقدها

المشركون في قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بردها
والنهي عنها وتأمل ما البكري رحمه الله عند اية الزمر ان الكفار ما ارادوا الا الشفاعة
ثم صرح بأن هذا كفر فمن تامل ما ذكره الله في كتابه تبين له ان الكفار ما ارادوا
ممن عبدوا الا الشفاعة التقرب الى الله وطلب شفاعتهم عند الله فانهم لم يعتقدوا انها
انها تخلق الخلايق وتنزل المطر وتنبت النبات بل كانوا مقرين ان الفاعل لذلك
هو الله وحده لا شريك له في ذلك قال الله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن
يملك السمع والابصار الى قوله فسيقولون الله فقل افلا تتقون وقال تعالى ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون
وقال تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون
قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون
قل من بيده ملكوت السموات والارض كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون
سيقولون لله قل فانى تسحرون الى غير ذلك من الايات التي اخبر الله فيها ان المشركين
معترفين ان الله هو الخالق الرازق وانما كانوا يعبدونهم ليقربوهم ويشفعوا لهم
كما ذكره سبحانه في قوله ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبعث الله الرسل وانزل
الكتب ليعبد وحده ولا يجعل معه اله اخر واخبر سبحانه ان الشفاعة كلها له وانه
وانه لا يشفع عنده احد الا باذنه وانه لا ياذن الا لمن رضي قوله وعمله وانه لا يرضى
الا التوحيد فالشفاعة مقيدة بهذه القيود قال تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء
قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا وقال تعالى ما لكم
من دونه من ولي ولا شفيع وقال تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى
يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا وقال تعالى وكم من ملك في
السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى وقال تعالى
ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقال تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له وفي
الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد ادم واكرم الخلق على الله

انه قال

انه قال آتي تحت العرش فاخر لله ساجدا ويفتح علي بمحامد لا احصيها الآن فيدعني
ما شاء الله ان يدعني ثم يقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع قال فيحد
لي حدا ثم ادخلهم الجنة ثم اعود فذكر اربع مرات صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر
الانبيا وقال الامام البكري رحمه الله عند قوله تعالى وانذر به الذين يخافون ان
يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع نفي الشفيع وان كانت الشفاعة واقعة
في الاخرة لانها من حيث انها لا تنفع الا باذنه كانها غير موجودة من غيره وهو كذلك
لكن جعل ذلك لتبيين الرتب وجملة النفي حال من ضمير يحشروا وهي محل الخوف والمراد به
المؤمنون العاصون انتهى وقال ايضا عند قوله تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة
الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا دل على ان الشفاعة تكون للمومنين فقط وقال الحافظ
عماد الدين ابن كثير عند قوله تعالى قل من رب السموات والارض قل الله يقرر تعالى انه لا اله
الا هو لانهم معترفون انه هو الذي خلق السموات والارض هو ربها ومدبرها وهم
مع هذا قد اتخذوا من دون الله اولياء يعبدونهم وانما عبدوا هؤلاء المشركون
الهة هم يعترفون انها مخلوقة عبيد له كما كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك
الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وكما اخبر عنهم في قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى فانكر تعالى ذلك عليهم حيث اعتقدوا ذلك وهو تعالى لا يشفع عنده احد الا باذنه
ولا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له ثم قد ارسل رسله من اولهم الى اخرهم يزجرون عن ذلك
وينهونهم عن عبادة من سوى الله فكذبوهم انتهى كلامه والمقصود بيان شرك المشركين
الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم ما ارادوا ممن عبدوا الا التقرب الى الله
وطلب شفاعتهم عند الله وبيان ان طلب الحوايج من الموتى والاستغاثة بهم
في الشدايد انه من الشرك الاكبر الذي كفر الله به المشركين وبيان ان الشفاعة
كلها لله ليس لاحد معه منها شيء وانه لا شفاعة الا بعد اذن الله تعالى وانه
تعالى لا ياذن الا لمن رضي قوله وعمله وانه لا يرضى الا التوحيد كما تقدمت الادلة
الدالة على ذلك ومعلوم ان اعلى الخلق وافضلهم واكرمهم عند الله الرسل والملائكة

المقربون وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه
ولا يفعلون شيئا الا بعد اذنه لهم وامره فيأذن سبحانه لمن يشاء ان يشفع فيه
فصارت الشفاعة في الحقيقة انما هي له تعالى والذي يشفع عنده انما يشفع باذنه له
وامره سبحانه لمن بعد شفاعته سبحانه الى نفسه وهي ارادته ان يرحم عبيده
وهذا ضد الشفاعة الشركية التي اثبتها المشركون ومن وافقهم وهي التي ابطلها
سبحانه في كتابه بقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل
منها عدل ولا تنفعها شفاعة وقال تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم
من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ولهذا كان اسعد الناس
بشفاعة سيد الشفعا يوم القيمة اهل التوحيد كما صرحت بذلك النصوص
فروى البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اسعد الناس بشفاعتي
يوم القيمة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه وعن عوف بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني آت من عند ربي فخيرني بين ان يدخل نصف امتي الجنة
وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا رواه
الترمذي وابن ماجه فاسعد الناس بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل
التوحيد الذين جردوا التوحيد لله واخلصوه من التعلقات الشركية
وهم الذين ارتضى الله سبحانه قال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقال تعالى يومئذ
لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا فاخبر سبحانه انه لا تحصل
يومئذ شفاعة تنفع الا بعد رضاه قول المشفوع له واذنه للشافع فاما
المشرك فانه لا يرتضيه ولا يرضا قوله فلا يأذن للشفعاء ان يشفعوا فيه
فانه سبحانه علقها بامرين رضاه عن المشفوع له واذنه للشافع فما لم يوجد علقها
مجموع الامرين لم توجد الشفاعة وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه سبحانه فانه
الذي اذن والذي قبل والذي رضي عن المشفوع له والذي وفقه لفعل ما
يستحق به الشفاعة فالرب تبارك وتعالى هو الذي يتفضل على اهل الاخلاص فيغفر لهم

بواسطة

7

بواسطة دعاء من اذن له ان يشفع ليكرمه فالشفاعة التي نفاها القران ما
كان فيها شرك ولهذا اثبتها سبحانه باذنه في مواضع من كتابه وبين النبي صلى
الله عليه وسلم انها لا تكون الا لاهل التوحيد كما تقدم في حديث ابي هريرة وعوف بن مالك
فمتخذ الشفيع مشرك لا تنفعه شفاعته ولا يشفع فيه ومتخذ الرب وحده الهه
ومعبوده هو الذي ياذن للشفيع ان يشفع فيه قال تعالى ام اتخذوا من دون
الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة
جميعا وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه
وتعالى عما يشركون فبين ان المتخذين شفعاء مشركون وان الشفاعة لا تحصل
باتخاذهم انما تحصل باذنه سبحانه للشافع ورضاه عن المشفوع له كما تقدم
بيانه والمقصود ان الكتاب والسنة دلا على ان من جعل الملايكة والانبيا او ابن
عباس او ابي طالب او المحجوب وسايط بينهم وبين الله ليشفعوا لهم عند
الله لاجل قربهم من الله كما يفعل عند الملوك انه كافر مشرك حلال المال والدم وان
قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وصلى وصام وزعم انه
مسلم بل هو من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ويحسبون
انهم مهتدون ومن تامل القران العزيز وجده مصرحا بان المشركين الذين
قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرون بان الله هو الخالق الرازق وان السموات
السبع ومن فيهن والارضين السبع ومن فيهن كلهم عبيده وتحت
قهره وتصريفه كما حكاه تعالى عنهم في سورة يونس وسورة المؤمنين والعنكبوت
وغيرها من السور ووجده مصرحا بان المشركين يدعون الصالحين كما
ذكر تعالى ذلك عنهم في سورة سبحان والمائدة وغيرها من السور وكذلك ذكر
عنهم انهم يعبدون الملايكة كما ذكر ذلك في سورة الانبيا والنجم ووجده مصرحا بان
المشركين ما ارادوا ممن عبدوا الا الشفاعة والتقرب الى الله كما ذكر تعالى ذلك عنهم

ويحسبون انهم يحسنون صنعا

في سورة يونس والزمر وغيرهما من السور فاذا تبيّن لكم ان القران قد صرح
بهذه المسايل الثلاثة اعني اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية وانهم يدعون الصا
لحين وانهم ما ارادوا منهم الا الشفاعة تبين لكم ان هذا الذي يفعل عند القبور
اليوم من سوالهم جلب الفوايد وكشف الشدايد انه الشرك الاكبر الذي
كفر الله به المشركين فان هولاي المشركون مشبّهون شبّهوا الخالق تعالى
بالمخلوق وفي القران العزيز وكلام اهل العلم من الرد على هولاي ما لا يتسع
له هذا الموضع فان الوسايط التي بين الملوك وبين الناس تكون على احد
وجوه ثلاثة اما لاخبارهم عن احوال الناس ما لا يعرفونه ومن قال ان الله لا يعرف
احوال العباد حتى تخبره بذلك بعض الانبيا وغيرهم من الاوليا والصالحين فهو
كافر بل هو سبحانه يعلم السر واخفى لا تخفا عليه خافية في الارض ولا في السماء
الثاني ان يكون الملك عاجزا عن تدبير رعيته ودفع اعدائه الا باعوان يعاونونه
فلا بدّ له من اعوان يعاونونه وانصار لذله وعجزه والله سبحانه ليس له ظهير
ولا ولي من الذل وكلها في الوجود من الاسباب فهو سبحانه ربه وخالقه فهو الغني
عن كل ما سواه وكلها سواه فقير اليه بخلاف الملوك المحتاجين الى ظهرائهم
وهم في الحقيقة شركاء هو الله سبحانه ليس له شريك في الملك بل لا اله الا هو
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد ولهذا لا يشفع عنده احد الا باذنه لا ملك
مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن غيرهما فان من شفع عنده بغير اذنه فهو
شريك له في حصول المطلوب اثر فيه بشفاعته حتى يفعل ما يطلب والله تعالى
لا شريك له بوجه من الوجوه الثالث ان يكون الملك ليس مريدا النفع
رعيته والاحسان اليهم الا بمحرك يحركه من خارج فاذا خاطب الملك من
ينصحه ويعظه او من يدلي عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه تحركت
ارادة الملك وهمته في قضاء حوايج الناس رعيته والله تعالى رب كل شي ومليكه
وهو ارحم بعباده من الوالدة بولدها وكل الاسباب انما تكون بمشيئته

فما شاء كان وما لم يشا لم يكن وهو سبحانه اذا اراد اجرى نفع العباد بعضهم
على يد بعض فجعل هذا يحسن الى هذا ويدعوا او يشفع له فهو الذي ٨
خلق ذلك كله وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن والداعي ارادة الاحسان
والدعا والشفاعة ولا يجوز ان يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده
او يعلمه ما لم يكن يعلمه والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون الا باذنه
كما تقدم بيانه بخلاف الملوك المحتاجين فان الشافع عندهم يكون شريكا
لهم في الملك وقد يكون مظاهرا لهم معاونا لهم على ملكهم وهم يشفعون
عند الملوك بغير اذن الملوك والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته اليهم وتارة
لجزاء احسانهم ومكافاتهم حتى انه يقبل شفاعة ولده وزوجته لذلك فانه محتاج
الى الزوجة والولد حتى لو اعرض عن ولده وزوجته لتضرر بذلك ويقبل شفاعة
مملوكه فانه اذا لم يقبل شفاعته يخاف ان لا يطيعه ويقبل شفاعة اخيه مخافة
ان يسعى في ضرره وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس
فلا يقبل احد شفاعة احد الا لرغبة او لرهبة والله تعالى لا يرجوا احدا ولا يخافه
ولا يحتاج الى احد بل هو الغني سبحانه عما سواه وكل ما سواه فقير اليه والمشركون
يتخذون شفعاء من جنس ما يعهدونه عند المخلوق قال الله تعالى ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هولاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون
الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون وقال تعالى قل ادعوا
الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اوليك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه
فاخبر سبحانه انما يدعا من دونه لا يملك كشف الضر عن الداعي ولا تحويله وانهم
يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون الى الله فقد نفى سبحانه ما اثبتوه
من توسط الملايكة والانبيا وفيما ذكرنا كفاية لمن هداه الله واما من اراد
الله فتنته فلا حيلة فيه ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن

بحدله ولينا مرشدا واما المسئله الثانيه فقالوا من قال لا اله الا الله
محمد رسول الله ولم يصل ولم يزكي هل يكون مؤمنا فنقول اما من قال لا اله الا الله
محمدا رسول الله وهو مقيم على شركه يدعوا الموتى ويسئلهم قضاء الحاجات
وتفريج الكربات فهذا كافر مشرك حلال المال والدم وان قال لا اله الا الله محمدا رسول
الله وصلى وصام وزعم انه مسلم كما تقدم بيانه واما ان وحد الله تعالى ولم يشرك
به ولكنه ترك الصلاة ومنع الزكاة فان كان جاحدا للوجوب فهو
كافر اجماعا واما ان اقر بالوجوب ولكنه ترك الصلاة تكاسلا عنها فهذا قد اختلفوا
العلماء في كفره والعلماء اذا اجمعوا فاجماعهم حجة لا يجتمعون على ضلاله واذا
تنازعوا في شيء رد ما تنازعوا فيه الى الله والرسول والواحد منهم ليس بمعصوم
على الاطلاق بل كل احد يوخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله
تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول قال العلماء الرد الى الله هو الرد الى كتابه والرد
الى الرسول هو الرد الى السنة بعد وفاته وقال تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه
الى الله وقد ذم الله تعالى من اعرض عن كتابه ودعا عند التنازع الى غيره فقال تعالى
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا
اذا عرف هذا فنقول اختلف العلماء رحمهم الله في تارك الصلاة كسلا من غير
جحود فذهب الامام ابو حنيفه والشافعي في احد قوليه ومالك الى انه لا يحكم بكفره
واحتجوا بما رواه عبادة ابن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
خمس صلوات كتبهن الله على العباد من لم يات بهن كان ليس له عند الله عهد ان
شاء عذبه وان شاء غفر له وذهب امامنا احمد بن حنبل والشافعي في احد قوليه
واسحاق بن راهويه وعبد الله ابن المبارك والنخعي والحكم وايوب انه كافر
وحكاه اسحاق بن راهويه اجماعا ذكره عنه الشيخ احمد بن حجر الهيتمي في شرح
الاربعين وذكره في كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر عن جمهور الصحابة رضي الله
عنهم وقال الامام ابو محمد ابن حزم سائر الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من التابعين

يكفرون

٦

يكفرون تارك الصلاة مطلقا ويحكمون عليه بالارتداد منهم ابو بكر وعمر وابنه
عبد الله وعبد الله ابن مسعود وعبد الله بن عباس ومعاذ بن جبل وجابر بن عبد
الله وعبد الرحمن بن عوف وابو الدرداء وابو هريره وغيرهم من الصحابه ولا
نعلم لهولاء مخالفا من الصحابه واجابوا عن قوله صلى الله عليه وسلم من لم ياتي
بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء غفر له ان المراد عدم
المحافظة عليهن في اوقاتهن بدليل الايات والاحاديث الوارده فيها
وفي تركها واحتجوا على كفر تاركها بما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة
وعن بريده ابن الحصيب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العهد الذي
بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر رواه الامام احمد واهل السنن وقال
الترمذي حديث حسن صحيح اسناده على شرط مسلم وعن ثوبان مولا رسول الله
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين العبد والكفر والايمان الصلاة فاذا تركها
فقد اشرك واسناده صحيح على شرط مسلم وعن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الصلاة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاه
يوم القيمه ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نور ولا برهان ولا نجاه وكان يوم القيمه مع قارون
وفرعون وهامان وابي ابن خلف رواه الامام احمد وابو حاتم وابن حبان في صحيحه
وعن عبادة بن الصامت قال اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تشرك بالله شيئا
ولا تترك الصلاة عمدا فمن تركها عمدا خرج من الملة رواه عبد الرحمن ابن ابي حاتم
في سننه وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة مكتوبة متعمدا
فقد برئت منه ذمة الله رواه الامام احمد وعن ابي الدرداء قال اوصاني ابو القاسم
ان لا اترك الصلاة متعمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمه رواه ابن ابي حاتم
وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال راس الامر الاسلام وعمود الصلاة
الحديث وعن عبد الله ابن شقيق العقيلي قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم

شيئاً من الاعمال تركه كفر غير الصلاة رواه الترمذي فهذه الاحاديث كما ترا صريحه
في كفر تارك الصلاة مع ما تقدم من اجماع الصحابه كما حكاه اسحق بن راهويه وابن حزم
وعبد الله بن شقيق وهو مذهب جمهور العلما من التابعين ومن بعدهم ثم اعلم ان
العلما كلهم مجمعون على قتل تارك الصلاة كسلا الا ابا حنيفة ومحمد ومحمد بن شهاب
الزهري وداوود فانهم قالوا يحبس تارك الصلاة المفروضه حتى يموت او يتوب
ومن احتج لهذا القول بقوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله
فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها فقد ابعد النجعه فان هذا الحديث
لا حجه فيه بل هو حجه لمن يقول بقتله كما سياتي بيانه ان شاء الله واحتج الجمهور
على قتله بالكتاب والسنه اما الكتاب فقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
الى قوله فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم فشرط الكف التوبه من
الشرك واقام الصلاة وايتاء الزكاة فاذا لم توجد هذه الثلاث لم يكف عن قتلهم ولم تخل
سبيلهم قال ابن ماجه حدثنا نصر بن علي حدثنا ابو احمد حدثنا الربيع بن انس عن انس رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده وعبادته لا شريك
له واقام الصلاة وايتاء الزكاة مات والله عنه راض قال انس وهو دين الله الذي جاءت
به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الاحاديث واختلاف الاهوى وتصديق ذلك في كتاب
الله في اخر ما انزل فان تابوا قال خلع الاوثان وعبادتها واقاموا الصلاة واتوا
الزكاة فخلوا سبيلهم وقال بعدها فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فاخوانكم في
الدين واما السنه فثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة
ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم
على الله فعلق العصمه على الشهادتين والصلاة والزكاة وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم
كتابا فيه من محمد رسول الله الى اهل عمان اما بعد فاقروا بشهادة ان لا اله الا الله واني
رسول الله وادوا الزكاة وخطوا المساجد والا غزوتكم خرجه الطبراني والبزار وغيرهما

ذكره

ذكره الحافظ ابن رجب الحنبلي في شرح الاربعين وروى ابن شهاب عن حنظله
عن علي بن الاشجع ان ابا بكر الصديق بعث خالد ابن الوليد وامره ان يقاتل
الناس على خمس فمن ترك واحده منهن فقاتله عليها كما تقاتله على الخمس
شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم
رمضان وحج بيت الله الحرام قال سعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب لو ان الناس تركوا
الحج لقاتلناهم على تركه كما نقاتل على الصلاة والزكاة وبالجمله فالكتاب والسنه يدلان
على ان القتال ممدود الى الشهادتين والصلاة والزكاة وقد اجمع العلماء على ذلك قال
في شرح الاقناع اجمع العلماء على ان كل طائفه ممتنعه من شريعه من شرايع الاسلام
فانه يجب قتالها حتى يكون الدين كله لله كالمحاربين واولى انتهى واما حديث
ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها
عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها فهذا لا اشكال فيه بحمد الله وليس لكم فيه حجه
بل هو حجه عليكم ولو لم يكن الا قوله الا بحقها لكان كافيا في ابطال قولكم وقد قال
علماؤنا رحمهم الله اذا قال الكافر لا اله الا الله فقد شرع في العاصم لدمه فيجب الكف
عنه فان اتمم ذلك تحققت العصمه والا بطلت ويكون النبي صلى الله عليه وسلم قد قال كل
حديث في وقت فقال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ليعلم المسلمون
ان الكافر المحارب اذا قالها كف عنه وصار دمه وماله معصوما ثم بين صلى الله عليه وسلم
في الحديث الاخر ان القتال ممدود الى الشهادتين والعبادتين فقال امرت ان اقاتل
الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة
فبين ان تمام العصمه وكمالها انما يحصل بذلك ولئلا تقع الشبهه بان مجرد الاقرار
يعصم على الدوام كما وقعت لبعض الصحابه حتى جلاها ابو بكر الصديق ثم
تم وافقوه رضي الله عنهم ومما يبين فساد قولكم وخطا فهمكم في معنى
حديث ابي هريرة ان الصحابه رضي الله عنهم اجمعوا على قتال مانع الزكاة بعد
مناظرة وقعت بين ابي بكر وعمر واستدل عمر على ابي بكر بحديث ابي هريرة

فيتبين صديق الامه رضي الله عنه ان الحديث حجه على قتال من منع الزكاة فوافقه عمر
وساير الصحابه على قتال مانعي الزكاة وهم يشهدون ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
ويصلون ونحن نسوق الحديث بتمامه ثم نذكر ما قاله العلما في شرحه ليتبين ان
فهمكم الفاسد لم يقل به احد من العلما وانه فهم مشوم مذموم مخالف للكتاب
والسنه واجماع الامه فنقول ثبت في الصحيحين عن ابي هريرة قال لما توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكفر من كفر من العرب قال عمر لابي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني
دماءهم واموالهم الا بحقها فقال ابو بكر لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان
الزكاة حق المال فوالله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقاتلتهم على منعه قال عمر فوالله ما هو الا ان رايت الله قد شرح صدر ابي بكر
للقتال فعرفت انه الحق وهذا الحديث خرجه البخاري في كتاب الزكاة ومسلم
في كتاب الايمان وهو من اعظم الادله على فساد قولكم فان الصديق رضي الله
عنه جعل المبيح للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب وقد تكلم النووي رحمه الله
على هذا الحديث في شرح صحيح مسلم فقال باب الامر بقتال الناس حتى يقولوا
لا اله الا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويومنوا بجميع
ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وان من قال ذلك عصم نفسه وماله الا بحقها وو
كلت سريرته الى الله تعالى وقتال من منع الزكاة وغيرها من حقوق الاسلام واهتمام
الامام بشرايع الاسلام ثم ساق الحديث ثم قال قال الخطابي في شرح هذا الكلام كلاما
حسنا لا بد من ذكره لما فيه من الفوايد قال رحمه الله مما يجب تقديمه ان يعلم ان
اهل الرده كانوا صنفين صنف ارتدوا عن الدين ونابذوا المله وعادوا الكفر
وهم الذين عنا ابو هريرة وهم الذين عنا ابو هريرة بقوله وكفر من كفر من العرب
والصنف الاخر فرقوا بين الصلاة والزكاة وانكروا فرض الزكاة ووجوب اداها الى الامام
وقد كان في ضمن هولاي المانعين للزكاة من كان يسمح بالزكاة ولا يمنعها الا ان
رؤساهم

رؤساهم صدوهم عن ذلك الراي وقبضوا على ايديهم في ذلك كبني يربوع فانهم
جمعوا صدقاتهم وارادوا ان يبعثوا بها الى ابي بكر فمنعهم مالك بن نويرة
من ذلك وفرقها فيهم وفي امر هولاي عرض الخلاف ووقعت الشبهه لعمر رضي الله
عنه فراجع ابا بكر رضي الله عنه وناظره واحتج عليه بقول النبي صلى الله عليه وسلم
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم
نفسه وماله وكان هذا من عمر تعلقا بظاهر الكلام قبل ان ينظر في
اخره ويتامل شرايطه فقال له ابو بكر الزكاة حق المال يريد ان القضيه
التي قد تضمنت عصمة دم ومال معلقه بايفاء شرايطها والحكم المعلق
بشرطين لا يحصل باحدهما والاخر معدوم ثم قاسه بالصلاة ورد الزكاة
اليها وكان من قوله دليل على قتال الممتنع من الصلاة كان اجماعا من
الصحابه رضي الله عنهم ولذلك رد المختلف فيه الى المتفق عليه فلما استقر
صحة راي ابي بكر رضي الله عنه وبان لعمر صوابه تابعه على قتال القوم وهو معنى
قوله فلما رايت الله قد شرح صدر ابي بكر للقتال عرفت انه الحق يريد
انشراح صدره بالحجه التي ادلى بها والبرهان الذي اقامه نصا ودلاله
انتهى فتامل هذا الباب الذي ذكره النووي رحمه الله وهو امام الشافعيه
على الاطلاق تجده صريحا في رد شبهتكم ان من قال لا اله الا الله لا يباح
دمه وماله وان ترك الصلاة ومنع الزكاة فالترجمه نفسها صريحه في رد قولكم
فانه صرح بالامر بالقتال على ترك الصلاة ومنع الزكاة وتامل ما ذكره الخطابي
ان الذين منعوا الزكاة منهم من كان يسمح بها ولا يمنعها الا ان رؤساهم صدوهم
عن ذلك الراي وقبضوا على ايديهم كبني يربوع فانهم ارادوا ان يبعثوا بها الى
ابي بكر فمنعهم مالك بن نويره من ذلك وفرقها فيهم وانه عرض الخلاف ووقعت
الشبهه لعمر في امر هولاي ثم ان عمر وافق ابا بكر على قتالهم وتامل قوله
واحتج عمر بقول النبي صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله

وكان هذا من عمر تعلقا بظاهر الكلام قبل ان ينظر في اخره ويتامل شرايطه ويتامل
قوله ان قتال الممتنع من الصلاة كان اجماعا من الصحابه وقد اشار الخطابي
الى ان حديث ابي هريره مختصر وان عبد عبد الله ابن عمر وانسا روياه بزياده لم يذكرها
ابو هريره ففي حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاه ويوتوا الزكاة
فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وفي روايه انس امرت ان
اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان يستقبلوا قبلتنا وان ياكلوا
ذبيحتنا وان يصلوا صلاتنا فاذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماءهم واموالهم الا
بحقها لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين انتهى قلت وقد ثبت في
الطريق المذكور في الكتاب والسنة من روايه ابي هريره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويومنوا بي وبما جيت به
فاذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وفي استدلال ابي بكر واعتراض
عمر رضي الله عنهما دليل على انهما لم يحفظا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن
عمر وانس وابو هريره وكانوا هولاء الثلاثه سمعوا هذه الزياده في رواياتهم
في مجلس اخر فان عمر لو سمع ذلك لما خالف ولما كان احتج بالحديث فان هذه الزياده
حجة عليه ولو سمع ابو بكر هذه الزياده لاحتج بها ولما كان احتج بالقياس والعموم
والله اعلم انتهى كلام النووي فتامل ما ذكره الخطابي تجده صريحا في رد قولكم
وتامل قوله فان عمر لو سمع ذلك لما خالف ولما كان احتج بالحديث فان هذه الزياده
حجة عليه وبالجمله فحديث ابي هريره حجة عليكم لا لكم ولو لم يكن فيه الا قوله الا
بحقها لكان كافيا في بطلان شبهتكم فان الصلاة والزكاة من اعظم حقوق
لا اله الا الله بل هما اعظمها على الاطلاق ومما يدل على بطلان قولكم وفساد فهمكم
في معنى الحديث اعني حديث ابي هريره امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ان
جميع الشراح والمحشين لم يتاولوه على هذا التاويل الذي ذهبتم اليه فانه حديث

صحيح مخرج في الصحاح وهولاء شراح البخاري ومحشيه نحو من
... بعين كما نبه عليه القسطلاني في خطبة شرح البخاري وكذا شرح
مسلم هل احد منهم استدل به على ترك قتال من ترك الفرايض بل الذي ذكروه
... ف ما ذهبتم اليه ولو لم يكن الا احتجاج عمر على ابي بكر واستدلال ابي بكر على
... مانعي الزكاة لكان كافيا ونحن نذكر كلام جماعة عذرا ونذرا قال النووي
... قوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن
قال ... فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل قال الخطابي
... ان المراد بهذا اهل الاوثان دون اهل الكتاب لانهم يقولون لا اله الا الله
... ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف قال ومعنى حسابهم على الله اي فيما يسرونه
... قال ففيه ان من اظهر الاسلام واسر الكفر يقبل اسلامه في الظاهر وهذا
... العلماء وذهب مالك الى ان توبة الزنديق لا تقبل ويحكى ذلك عن احمد بن حنبل
... م الخطابي وذكر القاضي عياض رحمه الله في معنى هذا وزاد عليه واوضحه
فقال ... اص عصمة المال والنفس لمن قال لا اله الا الله تعبيرا عن الاجابه الى الايمان
وان ... مشركوا العرب واهل الاوثان ومن لا يوحد وهم كانوا اول
من دعي الى الاسلام وقوتل عليه فاما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا
يكتفى في عصمته بقول لا اله الا الله اذا كان يقولها في كفره وهي من
اعتقاده ولذلك جاء في الحديث الاخر واني رسول الله ويقيم الصلاة ويوتي
الزكاة هذا كلام القاضي عياض قال النووي قلت ولا بد من الايمان بما جاء
به الرسول صلى الله عليه وسلم كما جاء في الروايه الاخرى لابي هريره حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله ويومنوا بي وبما جيت به انتهى كلام النووي فتامل ما ذكره
الخطابي وذكره القاضي عياض ان المراد بقول لا اله الا الله التعبير عن الاجابه
الى الايمان واستدل لذلك بالحديث الاخر الذي فيه واني رسول الله ويقيم الصلاه
ويوتي الزكاة وتامل قوله ان المراد بحديث ابي هريره مشركوا العرب ومن لا يوحد

١٣

فاما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفا في عصمته بقول لا اله الا الله اذا كان
يقولها في كفره وهي من اعتقاده وتامل قول النووي ولابد من الايمان
بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالجمله فقوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقا
الناس حتى يقولوا لا اله الا الله لا نعلم احدا من العلما اجراه على ظاهره وقال ا
قال لا اله الا الله يكف عنه ولا يجوز قتاله وان ترك الصلاه ومنع الزكاة هـ
لم يقل به احد من العلما ولازم قولكم ان اليهود لا يجوز قتالهم لانهم يقول
لا اله الا الله وان الصحابه مخطئون في قتالهم لمانعي الزكاة لانهم يقولو
لا اله الا الله ولازم قولكم ان بني حنيفه مسلمون لا يجوز قتالهم لانهم
لا اله الا الله سبحان الله ما اعظم هذا الجهل كذلك يطبع الله على قلوب ا
لا يعلمون ومن العجب انكم تقرؤون في صحيح البخاري هذا الباب الذي ذكر
كتاب الايمان حيث قال باب فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكا
فخلوا سبيلهم حدثنا عبد الله ابن محمد المسندي انبانا ابو روح ال
حدثنا شعبه عن واقد ابن محمد سمعت ابي يحدث عن ابن عمر رضي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا
الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك
عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله ثم بعد ذلك
تقولون من قال لا اله الا الله حرم ماله ودمه ولا ادري بماذا تجيبون به عن
هذه الايه والحديثين الذين ذكرهما البخاري وباي شيء تدفعون به
هذه الادله وقال الامام ابو عيسا الترمذي في سننه باب امرت ان اقاتل
الناس حتى يقولوا لا اله الا الله حدثنا هناد انبانا ابو معاويه عن الاعمش
عن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله الحديث ثم اردفه بحديث ابي هريره في قتال ابي بكر لمانعي
الزكاة وساق الحديث بتمامه ثم قال باب ما جاء امرت ان اقاتل الناس حتى يشهد